قلوب آثمة

صابرين الديب

نوفيلا

By:Asmaa Silver

حلم ـ هن

قلوب آثمة

نوفيلا

بقلم

صابرين الديب

تصميم

غلاف / أسماء سيلفر

داخلي / صابرين الديب



جروب حلم-هن

ولنا مع الحرف حلم..

للانضمام للحلم

[جروب حلم-هن]

نظرة

على الفطرة تحتفظ القلوب بطهارتها..

برائتها، ونقائها..

لكن عندما تلوثتها الخطايا!..

تثقلها الذنوب..

وتنوء بحمل أوزارها..

تتحول إلى..

قلوب آثمة..

تستوجب العقاب..

وحتمًا.. ستناله!..



بداية

باسمِ الحقِ والعدلِ..

نضعُ قلبكَ أيها الفاني فوق الميزان..

إن رجحتْ كِفتُك أمام ماعِت..

غنِمتَ الطهارة والنقاء..

وأُثِبتَ جنانًا نعيمها يشرد فيه القاصي والداني..

وإن ثقُلَت هي..

فقلبُكَ الآثمُ مُلكُ "عميمت"..

وروحُكَ المثقلةُ بالخطايا..

ستتيه في دَيَاجِي الأكوانِ السبع..

ولجسدِك الزائل يُرفَعُ مقامٌ في قلبِ الجحيم..

"أوزوريس"



لكل منا هواية.. بعضها لهدف والآخر قد نسميه تفاهة..

نجمع الأشياء، نقيمها، نحتفظ بها..

لكن يظل الأمر حتى النهاية..

مجرد هواية!..

(١)

الأمطار لا تتوقف عن الهطول، الجو خانق مترب رُغم ذلك والرطوبة تجعل الأنفاس تخنق الصدور لا تحييها..

قاد سيارته بسرعة كبيرة نسبيًا، يسب، يلعن، بل ويكاد يصرخ غيظًا؛ ألا يجد الموتى أوقاتًا أفضل من هاته لمغادرة حياتهم البائسة؟..

ليلة عيد!..

أجازته الخاصة وعودته حيث مخطوبته!..

لينتهي الأمر بجثة وتحقيق و... تُلغى الأجازة..

كم يشعر بالحنق!..



لقد نال ترقية لكنها مقيدة مع انتقاله من قاهرة المعز التي وُلد وتربى وعمل فيها إلى الصعيد، حيث العادات والتقاليد البالية التي تثير حنقه وسخطه في كل يوم، حوادث الثأر وجنون الدم والابتعاد عن "نور" الحبيبة أيضًا..

مساحات سيارته لا تتوقف عن العمل، الرؤية غير واضحة والجثة وُجدت في مكان قصي لا يسهل الوصول إليه..

ارتفع رنين هاتفه الملقى على المقعد المجاور له، التقطه يلقي نظرةً سريعةً على المتصل، وأخيرًا انشق فمه القاسي عن ابتسامة شغوف، وضع سماعته في أذنه وأجاب:

- حبيبتي!..

أذابه صوتها الناعم كما يفعل في كل مرة ينساب فيها لأذنيه:

- طاهر حبيبي، طمأني عليك، أشعر بقلقٍ بالغ، لقد هاجمني كابوسًا مزعجًا يتعلق بك..

ضحك بغرور، يعلم أنها تعشقه كما هو متيم بها:

- أنا في خير حال نور القلب لا تقلقي، ما يهم الآن أنني أفتقدك وبشدة، وألعن غبائي لقبولي بتلك الترقية والمجيء إلى هنا بعيدًا عنك..

أحس بابتسامة تتخلل صوتها وخجل يغلف حروفها:

-أنا أيضًا أفتقدك، حافظ على نفسك لأجلي وعد سريعًا..



أنهى المكالمة بكلمات عاشقة أخرى ألقاها على أذنيها، وهو ينظر عبر زجاج السيارة الأمامي يستوضح الطريق..

هكذا يمكنه أن يبدأ يومه بطريقة أفضل..

وصل إلى مسرح الجريمة المحاط بسياج ورقي يحذر من الاقتراب، خلية نحل عاملة ونشطة تتحرك في المكان..

رجال المعمل الجنائي، جنود، أمناء شرطة وضابط صغير هو مساعده..

مساعده الذي ما إن رآه حتى توجه نحوه بخطوات راكضة:



- سيادة المقدم، عذرًا على إزعاجك في هذا الوقت المبكر سيدي، لكن ما حدث يتطلب حضورك الشخصي..

أشار له بيده يخبره ألا يهتم..

تحرك معه نحو السيارة الفارهة والمتوقفة قرب النهر، دار حولها حتى اقترب من باب السائق، تطلع إلى الداخل..

الجثة في مقعدها، الرأس ملقاة على المقود، الدم يشكل بقعة كبيرة أسفل الباب ويلوثه، انحنى ينظر إليه باهتمام ثم سأل المساعد بعملية:

-ماذا لدينا هنا؟..

أجابه بنقاط سريعة:



- طبقًا للهوية التي وجدت بحوزته، هو "عابد الدسوقي" رجل أعمال من محافظة المنيا، ثري، متزوج ولديه ثلاثة أطفال، عمره اثنان وأربعون عامًا، كان في أجازة، مسجل اسمه في فندق سونستا سان جورج هنا بالأقصر، لقد ذهب بعض أفراد فريق المعمل الجنائي لغرفته بالفعل..

دار "طاهر" حول السيارة مجددًا..

التقط قفازًا من أحد الخبراء، انحنى ينظر أسفلها، يدقق في البقعة الحمراء باهتمام..

التفت للخبير خلفه بنظرة متسائلة فهم فحواها فأومأ له موافقًا!..

أدخل يده عبر النافذة المجاورة لمقعد السائق وحرك رأس الجثة، أسندها للخلف بحرص بينما ينظر بتدقيق في جسده..

فجأة ترك الرأس وتحرك خطوة للخلف بحدة، استدار ينظر لمساعده فهز ذلك كتفيه باستسلام، اقترب ثانية يتفحص الموقف بتركيز، انتصب بعدها واقفًا وسأل خبير المعمل:

- هل ما أظنه صحيح؟..

أجاب الرجل بحرفية عملية جافة:

- نعم سيادة المقدم، الرجل قُتِل وتم انتزاع قلبه بعنف من صدره مخلفًا فجوة فارغة كما ترى..

ضم شفتيه في تفكير، ومنح تساؤلًا:

- دوافع واضحة؟..



رد الرجل:

- انتقامية في الغالب، من ينتزع قلب ضحيته بهذه القسوة إلا منتقم!..

عاد يمط شفتيه، تأمل ملامح الراحل، تحمل بقايا وسامة أرستقراطية، فودين أشيبين، منظار طبي أنيق دون إطار، وحلة غالية الثمن يتوسط قميصها الأبيض فجوة القلب المنزوع، سأل ثانية:

- أداة وتوقيت الجريمة!..

بعملية وتفصيل أتاه الجواب:

- وقت الوفاة ما بين منتصف ليلة الأمس وفجر اليوم..أداة القتل الرئيسية غير واضحة وغير موجودة، لكنه تم عن طريق طعنة نافذة بأداة رفيعة حادة في الوريد العنقي مباشرة، تم انتزاع القلب غالبًا باليد دون

استخدام أدوات قاطعة، سيتم نقل الجثة للمشرحة وهناك سيقوم الطبيب الشرعي بعمله ونستوضح سبب الوفاة الأَولِي والمزيد من التفاصيل..

استدار يواجه رجله:

- علامات مميزة أو أية أمور لافتة للنظر؟..

ناوله المساعد مغلف من البلاستيك الشفاف يحوي عدة أوراق دون حديث..

التقطه بحرص، فتحه وبدأ يطالع محتواه باهتمام، بقايا تذكرة مباراة كرة قدم، مفتاح غرفة الفندق، شريحة هاتف نقال، كوبون نادي صحي شهير، وأخيرًا وريقة أخيرة بموعد!..

خط مطبوع، والساعة الحادية عشرة مساءًا..



عاد يدقق في المحتويات، ناول مساعده شريحة الهاتف بلهجة آمرة:

- تحقق منها واسم مالكها، أريد سجل المكالمات للأسبوع الماضي بأكمله وتأكد من أية أسماء مخزنة عليها!..

قلب الوريقة الصغيرة بين أصابعه، الموعد قبل الوقت المحدد لحدوث الوفاة بساعة؛ إذًا فلابد من رابط ما..

وجد على ظهرها عبارة مكتوبة بنفس الطريقة زدات من غموض الموقف..

"كل ما أريده يصبح لي.. منذ هذه اللحظة أنت مُلكي"..



عقد حاجبيه في تساؤل، تفحص باقي المحتويات، كوبون النادي الصحي.. نادي ومنتجع "أَمِتْ" الصحي للرجال..

وفقط!..

هذا غريب، والاسم أغرب لكنه فرعوني كما يظن، وهذا منطقي بالنسبة لتواجده في هذا المكان.. لابد من زيارة، لكن أولًا مراجعة غرفة الضحية بالفندق..

عاد إلى سيارته بعدما أملى بضعة أوامر لرجل المعمل الجنائي بخصوص نقل الجثة، ثم اصطحب مساعده وغادر..

***

يومان مرا..

المخطوبة حزينة تتصنع الغضب، وهو غاضب بالفعل..



جريمة محيرة، وخيوط فرعية لا يسهل الإلمام بها، غرفة القتيل بالفندق لا تحتوي على ما يمكن أن يثير الشبهات..

والأسوأ عندما قابل زوجة الرجل وأخيه وعرفا بما حدث بالضبط، انهارت المرأة وتجمد الشقيق ذهولًا!..

تم التأكد من حجة غياب الاثنين عن مسرح الأحداث الدامية، لا شهود، لا دلائل أخرى..

لا يتبقى سوى تقرير الطبيب الشرعي والذي يرجو أن ينير الطريق أمامه قليلًا..

مساعده يقوم ببعض التحريات عن القتيل، عن جرائم قد تكون مشابهة، ويسأل المحيطين القريبين منه عن سلوكياته، أعدائه، عمله وعلاقاته..

كان يمسك بالقلم، يخط به اسم الضحية على ورقة..

يرسم عدة نقاط، يتحرك بينها بعشوائية في شرود حين قاطع أفكاره زميله بدخول عاصف:

- سيادة المقدم، لن تحزر ماذا وجدت!..

اعتدل في مقعده سريعًا بانتباه يتعجله بعينيه أن يتحدث دون مقدمات، أردف الآخر:

- على مدار اثني عشر عامًا، قضايا مشابهة، محافظات مختلفة، ودومًا القلب منزوع بعنف سادي كما في قضيتنا..

اتسعت عيناه وهتف بينما يعقد حاجبيه في غير تصديق:

- ماذا!.. أهو قاتل متسلسل؟.. هل هذا يحدث في مصر أيضًا؟..



أومأ زميله بدهشة مرسومة على ملامحه بوضوح:

- من الواضح أنه حدث..

التقط من بين يديه الملف الضخم الذي يحمله، فتحه أمامه بسرعة يلتهم محتواه بنهم..

مع كل سطر، وصفحة تنقلب كان معدل ذهوله يزداد، وانعدام التصديق يتراجع..

الأمر حقيقي بالفعل، ضحايا كُثر، ونفس طريقة القتل تقريبًا..

كل عام، ليلة العيد، في عشر محافظات على مستوى الجمهورية!..

وفي كل منها تقيد القضية ضد مجهول..

وتخفَى عن أعين الإعلام لعدم إثارة الرأي العام أو إحداث بلبلة وفزع في الشارع..



ظل ساهرًا طوال الليل يدرس الملف، يحاول جمع نقاط التشابه بين كل ضحية وأخرى..

على أي أساس يختار القاتل ضحاياه!.. والمشترك بينهم يشترك فيه الكثير غيرهم!..

رجال أعمال، أثرياء، أزواج ولديهم أسر وأطفال..

في محيطهم الخاص أناس طيبون ولا يثيرون المشاكل..

بل حتى الزوجات لا تشتكين من أية أمور خارجة عن السيطرة!..

والمدهش في الأمر أن وقوع هذه الحوادث.. مرتبط بزيارتهم لمدينة الأقصر قبلها بأقل من شهر، ودومًا ليلة عيد!..

فكر بشيء من الاستغراب..

كل الضحايا رجال..

أماكن مختلفة..

حالات متباينة..

لا شيء يجمعهم على دافع الانتقام، فلمَ هذه الطريقة؟.. ولمَ انتزاع القلب؟..

ما الذي يمثله للجاني؟..

كاد يفقد عقله بحثًا عن معلومات، عاد يقلب في الملف، يبحث عن رابط آخر، متعلقات الضحايا، أوقات حدوث الجريمة، مكانها، حتى اصطدم بالمفاجأة وهنا قرر التحرك!..

(٢)

يعلم كثيرًا عن أحاديث الرجال، وفتنة النساء.. زملاؤه وأصدقاؤه وأخريات..

وذهاب عقل!..

لكنه دومًا مختلف..

لذا فهذه هي أول مرة يحدق في إحداهن بدهشة!..

لأنها جميلة.. وللغاية..

تتهادى في خطواتها، ترسم ابتسامة واثقة على شفتين مكتنزتين بلون الكرز الناضج، وكأنهما خلقتا لإغواء الشياطين..

والقديسين..



خصلات حالكة لدرجة لم يرها من قبل، طويلة منسابة على قدها الممشوق بنعومة، وعينان بلون الفيروز في وجه قمر أبيض بصفائه ينير الليل البهيم..

سبرت أغواره بعينيها اللامعتين، شد قامته بحزم، وأخذ بضعة خطوات نحوها، عرف بنفسه، فحركت رأسها بدهشة ومنحته اسمها:

- ديلارا زيدان..

استغرب الاسم، فابتسمت كعادتها كلما حصلت على رد الفعل هذا، تساءلت عن سبب وجوده، وكان جوابه يقلق الحجر إلاها!..

قدم لها ورقة بها بضعة أسماء، نظر في وجهها بينما تقرأها باهتمام:



- هذه مجموعة أسماء لرجال أعمال أثرياء، انتهت حياتهم على مدار السنوات الماضية، بنفس الطريقة، يجمع بينهم رابط قادني إلى هذا النادي..

برقت عيناها دون حديث، تابع ملامحها التي لم تهتز مقدار شعرة وأردف:

- كلهم أتوا للأقصر في عطلة قبل الحادث بأقل من شهر، ولدى أربعة منهم وُجِد بطاقات تخص ناديك..

رفعت ناظريها تطالعه بتركيز، فبادلها النظر، ابتسمت برقة، هزت كتفيها بلا فهم:

- حسنًا!.. وما الذي من المفترض أن يعنيه هذا؟.. سيادة المقدم، ناديَّ هو الأشهر في المنطقة، كل الأثرياء والسياح يمرون عليه، بمعنى أن كل زائر



للأقصر تنالني منه زيارة، وبطاقاتي ستجدها عبر البحار لدى زواري..

عقد حاجبيه يفند بصرامة:

- أليس من الغريب.. أن أربعة من القتلى يجمع بينهم ناديك من محصلة أكبر، ترى هل زاروا المكان هنا أيضًا؟..

أجابت تمط شفتيها:

- ليس بغريب طالما أنهم كانوا في زيارة للمدينة.. كما أخبرتك..

عاد يسأل بروتينية دون طرف خيط يقوده لحديث أوضح:

- هل تذكرين أيٍ من هذه الأسماء؟..

نظرة أخرى إلى الوريقة بتدقيق، انعقاد حاجبين، ثم هزة كتف مستسلمة وجواب بنفي:

-لا.. في الواقع من المستحيل أن أتذكر كل زواري والعمل دؤوب على مدار العام تقريبًا..

أومأ بصمت، التقط الورقة من بين أصابعها ومنحها ابتسامة رسمية ثم توجه إلى باب الخروج..

تابعته بعينيها للحظات بعدها افتر ثغرها عن ابتسامة تشير بإعجاب نحو الرجل الذي خرج للتو!..

تحرك بسرعة متجهًا إلى سيارته، الغضب بداخله يشتعل أكثر والغموض المحيط بالقضية يعذبه وبشدة..

يقض مضجعه بل ويقتحم أحلامه!..

قبل أن يدلف إلى داخلها شعر بيد توضع على كتفه، وصوت أجش ذو بحة أهلك صاحبها دخان تبغه:

"احذر عميمت"

***

خطا لمكتبه بعنف..

يملؤه هياج، نيران مستعرة تأكل جوفه، وحديث العجوز يتردد بين جدران وخلايا عقله، كأن الجنون ينقصه!..

خلع سترته وجلس على مقعده يحل ربطة عنقه بضيق، زفر بسخط يستعيد حديث الرجل ذو اليدين المعروقتين والشعر الأشيب تمامًا..

سمرته مصرية خالصة، قامته نحيلة، ظهره منحنٍ كأنما عاث الزمن في جسده وربما عقله فسادًا حتى أجهز عليه..



يوقفه بتحدٍ، ونظرة عينيه لا تشي بعمره الذي قارب الثمانون..

يخبره عن انتقام، أو للدقة "جزاء عادل"..

يناله أصحاب القلوب الآثمة، ذوو الذنوب القاتمة التي تهلك النفس والروح، هتف فيه كأنما يخيفه ويعترف أنه نجح!..

الرجل بدا كمهووس يحتاج مشفى الأمراض العقلية قبل أي شيء:

- احذر عميمت.. قلبك الآثم ملكها، روحك المذنبة ستتيه في عالمها بعد أن تلتهمه وتنتزع من جسدك الحياة.. احذر عميمت.. الأسطورة تتجسد.. واقع لا مهرب منه..

وغادره بخطوات بطيئة واهنة، على بعد ثلاث منها، استدار إليه، عيناه تبرقان بطريقة مخيفة:

- ابحث في الأمر.. لا تتساهل.. فتنتهي مثلهم!..

كاد ينقض على الرجل الذي أفزعه ليوسعه ضربًا مفرغًا فيه انفعاله وغضبه للأيام الماضية، كأن حياته ينقصها مخبول جديد!..

اكتنفت عقله الأفكار، تلك المرأة الفاتنة بطريقة مرعبة، ذلك الجمال الشرير الذي يجذبك لكنه يوقف شعر رأسك فرَقاً..

قبل ذهابه إليها نالته بعض الإشاعات الغريبة عن ناديها؛ واحدة بعينها جذبت انتباهه وإن لم يستطع بلعها أو تصديقها..

ذلك المكان بُني فوق بقايا مقبرة فرعونية!..

هذا غير قابل للتصديق بالمرة، الدولة لن تسمح بأمر كهذا.. إذًا ما الداعي لخبر مشابه تتناقله الألسن بغباء لا نظير له؟..

مط شفتيه بضيق وصورة الرجل تشاغل خياله من جديد، عاد يزفر ثم جذب حاسوبه المحمول، فتح محرك البحث الشهير وكتب كلمة واحدة.. "عميمت"..

وما ظهر له أشعل جنون أفكاره!..

***

"أَمِت".. "عميمت".. وغيرها..

كلها أسماء لكائن خرافي، فرعوني، لا ينتمي إلا لعالم الأساطير كما يرى..

العجوز المخرف، وأفكاره المثيرة للغيظ..

ومن يمثل "عميمت" في هذه البلدة إذًا؟..



أهي الفاتنة "ديلارا"؟..

أم أنه يقصد وجود فعلي لذلك الكائن الخرافي الخارج من عالم "أوزوريس"!..

ابتسم بسخرية، السيدة المريبة تصلح وبشدة..

"آكلة الموتى.. كائن خرافي يظهر في الأساطير المصرية القديمة، شكلها يشبه خليطًا من رأس تمساح، وجسد يجمع بين الأسد وفرس النهر.."

عاد يبتسم..

هذا الوصف لا يصلح لمالكة النادي، ولكن أليس من الغريب أن تختار اسمًا لناديها يشبه أسطورة عن آكلة الموتى.. والقلوب بالتحديد!..

أكمل قراءة..



"وحسب معتقدات قدماء المصريين.. تقبع "عميمت" في منزل إله الموت "أوزوريس" بالعالم السفلي في انتظار قدوم الموتى.. حيث تتم المحاكمة"..

فكر.. محاكمة غريبة، وعقاب مباح.. ثم أكمل...

"في هذه المحاكمة يتم وزن القلوب، وعلى قدر الآثام ترجح كفتها أو لا تثقل في الميزان، الوزن المقابل هو ريشة العدل والنظام.. وتسمى "ماعت".. فإن كان القلب أخف، نقيًا طاهرًا.. لا يمتلئ بالخطايا والذنوب.. جوزي بالنعيم، وإن كان مثقلًا بها ألقي إلى "عميمت" لتلتهمه وصاحبه يمحى من الوجود"..

إذًا.. لو فكر بحس بوليسي طبيعي، فهناك من يدبر هذه الجرائم، وينصب نفسه حاكمًا وقاضيًا بل وجلادًا..



العجوز الأخرق؛ لو فقط أوضح بدلًا من الألغاز!..

لا يمكنه أن يصدق في خروج أحد كائنات الأساطير لأرض الواقع لينفذ قانون عالم الموتى الخاص به..

تحرك في توتر، أفكاره تتدافع بسرعة داخل عقله وتتنافر فيما بينها، ثم استقر في النهاية على قرار؛ سيعود للنادي وبشكلٍ غير رسمي..

الليلة!..

إما أن يحصل على دليل دامغ يربط القتلى بهذا المكان وصاحبته وحوادث قتلهم.. أو لا!..

حينها سيغلق عقله عن تخاريف المسنين ويرتاح..

جنَّ الليل، لم يخبر مساعده بمغامرته المتأخرة غير القانونية.. هو اقتحام لو شئنا توصيفه بدقة، لذلك سيتحمل المسئولية وحده دون توريط آخرين..

خرج من مكتبه وتوجه بسيارته إلى النادي على أمل قطع الشك باليقين.

(٣)

نحن لا نقدر الخطر حق قدره إلا عندما نسقط بين براثنه!..

حين ينطبق علينا فكي فخه..

وصل للمكان الساكن كالقبور، المظلم مثلها.. ترك سيارته وتسلل في محاولة للدخول من بوابته الرئيسية..

البوابة التي انفتحت في يده بسلاسة يحسده عليها اللصوص، لا حراس في المكان سوى العجوز الخامل نائمًا على مقعد خشبي متهالك بالقرب من غرفة إقامته داخل السور..

خطا نحو المبنى بسرعة، يتلفت حوله بانتباه، دلف إليه بحرص، بيده سلاحه وبالأخرى مصباح صغير..

يتنقل من غرفة لأخرى، لا شيء غريب أو خارج عن المألوف، باب مواجه، ممر آخر وغرف متراصة..

ست غرف متقابلة فيما يشبه الفندق، ما هذا المكان؟..

تساءل في قلبه بدهشة..

فتح أولاها، في الظلام المخيم عليها وعلى ضوء مصباحه الشحيح لمح فراشًا ضخمًا ذو أعمدة معدنية عالية..

مط شفتيه دون فهم، أغلق بابها وتحرك نحو التالية، والصدمة..

تشابه المحتوى!..



الثالثة والرابعة.. والآخيرتين، كلهن تتشابهن..

هذا ليس فندقًا بالتأكيد.. فما الغرض الذي تستخدم فيه هذه الغرف؟..

دلف لإحداها يدقق فيها، وليت التدقيق نفعه، كل ما حدث أنه زاد من ذهوله، وحالة انعدام الفهم التي لازمته بينما يتأمل المحتويات بتركيز..

الفراش الضخم.. دون حاشية، فقط لوح صلب من الخشب المتين..

الأعمدة مقيد بها أصفاد جلدية، الأربعة.. كلها..

سوط جلدي كذلك ملقى على الطاولة المجاورة، قطع من القماش مقسمة بشكل طولي، المكان يبدو ببساطة كغرفة تعذيب!..



تأملها ثانية ثم تحرك خارجًا، باب واحد آخر في نهاية الممر، ترى أهو مشابه؟..

فتحه بهدوء شديد، وتنفس الصعداء عندما وجد خلفه غرفة مكتب عادية، أنيقة، طابع أنثوي راقي، وفخامة تدل على مدى ثراء مالكتها..

تفحصها بسرعة..

فتح الأدراج، عدة أوراق وملفات، مفتاح غريب الشكل داخل صندوق يبدو أثريًا و ذا قيمة عالية، ظل يطالعه باهتمام دون أن يخمن ما الذي يفتحه هذا الشيء بتكوينه العجيب..

تحرك في الغرفة، مكتبة بها أدراج كذلك، ومع الفحص أخرج ملفًا ضخمًا..

بنظرة سريعة علم أنه على الطريق الصحيح!..



كل ضحايا الجرائم المتشابهة، منزوعي القلوب، صور، معلومات، بيانات شخصية، ومع كل منها عدة صور من نوع آخر، تمثل عري، سادية، وهوس ذكوري بالسيطرة!..

عقد حاجبيه يحدق فيها باشمئزاز، هذه المرأة مجنونة، وهؤلاء الرجال أكثر جنونًا..

أعاد الملف لمكانه، تحرك نحو المكتب ثانية، أمسك بالمفتاح وانتوى تجربته..

تلفت حوله ولم يجد ما يناسبه.. لا أبواب، لا خزانة، كأن الغرفة في حد ذاتها محرمة، خزانة، آمنة لا يدخلها غير سيدة المكان...

"لو أخبرتني عم تبحث بالضبط!.. ربما أساعدك وأوفر عليك الوقت"

اقتحم الصوت عتمة المكان وهدوءه فاستدار بسرعة موجهًا سلاحه ومصباحه نحو مصدره، وكانت هي هناك..

ببهائها الجاذب للنظر..

تنظر إليه بابتسامة تحمل مقدارًا مساويًا من الشراسة بجانب الإعجاب والسخرية، أكملت بصوت ناعم:

- وصلتَ لمكان لم يصل إليه من قبلك آخر سيادة المقدم.. طاهر، أنت مميز بالفعل..

ثم أمالت رأسها ناحية اليمين، تلتمع عيناها بنظرة لم يفهمها وأردفت:

- يعجبني اسمك.. ترى أهو اسمٌ على مسمى كما يقولون؟..

هتف فيها بصرامة:

- إنها أنتِ!..

هزت كتفيها باستسلام وأراحته بجواب من ثلاثة أحرف:

- نعم..

لوح في وجهها بالسلاح، يخافها ويخيفها، تلك المرأة تثير في جسده قشعريرة باردة، كأنها شيطان من قلب الجحيم، والحزم ربما مهزوز في صوته:

- لا تتحركي، سأطلب الدعم، عند أول بادرة منك سأطلق النار فورًا..

واستمعت.. لم تتحرك.. عادت تهز كتفيها، تبتسم بطريقة مرعبة وترد بلهجة مغوية:

- قبل الدعم.. ألا تريد أن تعرف الحقيقة خلف هذا كله؟..



هز رأسه، الفضول ينهشه بالفعل، لكن مهمته هي كشف الغموض، القبض عليها، تسليمها وفقط.. سماع الحقائق وتفنيدها مهمة النيابة..

رغمًا عنه أجاب داعي الفضول الذي يصرخ داخله يكاد يصم عقله وأذنيه، كسا لهجته بصرامة قاطعة تحتمل ردًا واحدًا:

- أخبريني، دون أن تتحركي..

ألقت بنظرة من خلفه، عادت بعينيها إليه، وزادت في إغراء عقله:

- ألا تريد أن ترى بنفسك؟ لو ستفعل؛ سأضطر للحركة..

هي تسخر إذًا!.. صاح بغضب:

- قلت لا تتحركي..

الفوهة النارية تتوق لإطلاق رصاصة قاتلة في صدر هذه الأفعى، والسخرية واضحة هذه المرة في ابتسامتها اللعوب ونبرتها:

- سيادة المقدم، ألا ترى أن تهديدك حجمه كبير على أنثى ضعيفة مثلي!.. يمكنك قتلها بيديك العاريتين، لا سلاحًا ناريًا!..

أنهت جملتها واستدارت، وصله صوتها بينما يتابعها بعينيه في وجل:

- اتبعني رجاءً.. سأعد لك قهوتي المميزة، وأحكي لك القصة من بدايتها..

وتغلب فضوله، لكنه احتفظ بسلاحه موجهًا إليها، عندما ناولته كوبه تطلع إليه بشك ورفض ظاهر على ملامحه، هزت كتفيها وسخرت من جديد:

- ماذا؟.. تخشاني حضرة الضابط القوي؟..

نظر إليها ورد بحسم:

- لا أريد شيئًا.. فقط أخبريني، لمَ تقتلين هؤلاء الرجال وكيف؟.. وماذا تفعلين بقلوبهم؟..

احتفظت بالكوبين بين يديها وسارت أمامه ثانية، تبعها بتوجس، حتى مكتبها ثانية، وهناك وضعت الكوبين على طاولة صغيرة..

بالقرب من المكتبة ضغطت زرًا غير مرئي، انزاحت على إثر ضغطتها مكتبتها من مكانها لترتفع بمعدل ذهوله عنان السماء وهي تكشف عن باب غرفة في جيبه مفتاحها التي لاحظت اختفائه من علبته..

مدت يدها إليه وفهم هو ما تطلبه دون حتى أن يعي كيف!..



فتحت الباب برفق، وفور اكتمال حركته أضيئت الغرفة بضوء أخضر خافت، تهادت للداخل تنظر حولها بانتصار، تبعها بتوتر وقلبه يخبره أنه لم يرَ شيئًا بعد..

وكان على حق!..

***

"ودون الحاجة لألاعيب بدأت تحكي..

تقص عن رجل خط أحرف البداية وامرأة سطرت بيدها النهاية..

عن قصة فاقت كل الحكايا..

خرجت من سحر المشعوذين .. والأساطير القديمة..

ذاك الذي اتخذ من كل الإناث سبايا..

نصب نفسه حاكما على مملكة أرواحهن .. حتى بهتت وأضحت .. مجرد بقايا..

وللأصح ضحايا..

ثم يعترف خاتمًا حديثه.. أنها محضُ متعة، هواية"

***

"هل تريد أن تعرف ما يجمع بين من تسميهم .. ضحايا!.. كلهم ساديون خائنون"

هكذا بدأت حديثها، تقص، تحكي، كشهرزاد الخيال، تمنع عن عنقها "سيف مسرور".. والدقائق تمر، هو لا يصدق، وهي تنثر أحرفها كتعويذة..

بلا وعي التقط كوب القهوة، ارتشفه ببطء دون أن يخفض السلاح، وبريق عينيها في ازدياد..



وحكايا الألف ليلة تبدأ بجميلة، صغيرة، بريئة، فتنتها سبب تعاستها، كسائر بنات جلدتها، تعثرت بزوج حملها نحو سحب الغرام حتى وقعت صك العبودية فأضحت جارية هو سيدها..

ندوب الجسد تثبت هوسه وجنونه، وندوب القلب تثبت ضعفها وخنوعها..

زوجة حسناء.. زوج سادي.. غيور.. شكاك و خائن، لكماته شكلت ملامحها من جديد، تقييده لها في فراشها وممارسة حقه الشرعي كما كان يصرخ به بكل عنف وتوحش، ضربات السوط لايزال أثرها على ظهرها، ويخبرها أن الأمر للمتعة لكنها هي الباردة التي لا تفقه شيئًا عن عالم الإناث مكتملات الأنوثة..



أنها طفلة لن تنضج أبدًا، أن ما يربطه بها هو جسد فاتن شاء القدر أن تمتلكه حمقاء.. كانت هي..

حروق لفائف تبغه، دخانه الذي أحرق به صدرها وروحها..

خياناته على فراشها، وهي مقيدة ذليلة مربوطة بساق طاولة تشلها عن الحركة والهروب، يغذي عذاب الروح بعد أن فقد الجسد إحساس الألم، ويقهر القلب الذي سكنه يومًا ما..

وأمام عينيها، يكسرها، تتحول لشظايا، وهو في أوج متعته بعذابها، وبتلك التي يعاملها كقطعة من البلور بين ذراعيه..

وفي لحظة.. حتمية هي، بل قدرية..



لابد أن يثور البركان، وتخرج الجميلة عن طوق السيد، بعد وصلة من ممارسة ساديته فوق جسدها الخائر في غرفة مكتبه، التقطت فتاحة خطاباته وأولجتها بقوة في وريده العنقي، والانفجار هذه المرة كان بلون الدم..

يغرقها فتنتشي..

تلعقه فتصرخ هي من المتعة..

وفي منحنى هو الأخطر في لحظة الجنون تلك؛ شقت صدره بوحشية، حطمت ضلوعه بقطعة ديكور ثقيلة، وبكفيها انتزعت قلبه بينما مازال يكتنفه النبض..

ثم انتهى الأمر بها هاربة، وتهمة ملصقة بإحدى عشيقاته كانت من اكتشفت الجثة وتعالى صراخها حتى جذب الحي كله..



بعدها الاستقرار النهائي فوق أرض غريبة.. بعيدة.. وإشاعة عن أسطورة هي بطلتها، ومقبرة لم تكن أبدًا في حيز الوجود..

غرف التعذيب التي مر بها.. هي الباب الخلفي لمتعتها الخاصة، ومتعة زبائنها ذوو الخلفيات الاجتماعية الوجيهة، والنفسيات المريضة..

نسخ مكررة من صاحب القلب الأول، بناتها العاملات، هن محور الحدث، وحوريات الجذب نحو أعماق الخطيئة، ينال من أجسادهن رجال يرون أنهم هبات من السماء لنساء الأرض، وفي النهاية تختار هي أكثرهم سوادًا..

تمتلك قلبه وتضمه إلى مجموعتها الخاصة والمنتقاة بعناية..



المجموعة التي رآها في الغرفة الداخلية، معرض للقلوب لو أراد منحها اسمًا، أوعية بمواد حافظة ورائحة مميتة..

وفي كل وعاء يطفو قلب!..

وأصبحت هي "عميمت".. آكلة القلوب..

كان القلب الأول .. صاحب الفكرة.. يتصدر المكان بعنجهية كانت ملكًا لصاحبه يومًا.. حتى انتهى داخل وعاء في صالة عرض..

ختمت حديثها كأنها تُرهبه أكثر:

- كلنا لدينا هوايات طاهر!.. البعض يجمع العملات، وآخرون الطوابع.. أما أنا .. فأجمع القلوب الآثمة، وأختار المميز منها، عالي الجودة، شديد السواد..



حدق فيها بصدمة، وكل ما خرج من بين شفتيه بينما ينهض واقفًا، يلتقط هاتفه من جيبه:

- أنتِ مجنونة..

نهضت في المقابل، تنظر لبنصره الأيمن باهتمام، ونظرة أخرى على كوب القهوة، هتفت تماطله:

- لديك مخطوبة؟..

رفع عينيه عن هاتفه بدهشة فأردفت:

- هل تحتفظ بنفسك لأجلها فقط.. طاهر!..

لم يرد، شعور غريب بدأ يكتنف جسده، وحرارة تندفع في عروقه تلهبها كنيران من قلب السعير، رمقها في صمت، تستطرد بصوت مغوٍ:

- أتعلم شيئًا عن عالم النحل.. طاهر؟..



وصلت دهشته لمرحلة لا يمكن السكوت عنها، ابتسمت تتأمله..

وسيم هو، قامة طويلة، بنية قوية رياضية، شعر أسود مجعد لكنه يناسب ملامحه الخشنة السمراء، حليق الوجه إلا من بقايا نابتة تزيد من وسامته..

أكملت بابتسامة واثقة وهي ترى قطرات العرق تنبت فوق جبينه:

- كل قفير له ملكة، الملكة مهمتها الإنجاب، يتم تخصيبها من أحد الذكور.. وهكذا تنتهي القصة، تظل هي وحيدة، والباقي جنود، شغالات، ووظائف أخرى للعناية بالقفير..



اقتربت منه خطوة ولم يتحرك، يكاد يشعر بغليان دمائه بالفعل، تابعها بصمت، تقترب أكثر، تدور حوله، تبث السم، وتغوي البتول:

- أتعلم معنى اسمي.. طاهر؟..

ظهر تساؤل في عينيه لم يتخطَ صمته، عادت تبتسم برقة فازدادت فتنتها:

- ديلارا معناه سارقة القلوب.. وأنا أسرقها بالفعل.. بالمعنى الحرفي، والمجازي أيضًا.. كلهم وقعوا في غرام مالكة المكان الفاتنة، كلهم حاولوا النيل منها، وعندما قررت هي المنح.. كان الثمن مجرد قلب، ليس غاليًا تمامًا في مقابل الحصول عليها بعد عناء دام طويلًا.. صحيح؟.. هي تساوي الكثير بالفعل، حتى أن مجرد قلب آثم هو ثمن بخس..



تصبب العرق على جبينه بغزارة أكبر، وانسابت القطرات تسيل على جانبي وجهه، ازدرد لعابه يتابعها كأنه واقع تحت تأثير سحر ما، تعويذة ما..

أو ربما بطلة أسطورة، بهيئة مختلفة وأعماق متشابهة..

تجذبه من جديد نحو غرق لا حياة بعده:

- الملكة تشعر بالوحدة طاهر.. لكن مليكها لا يمكن أن يكون صاحب قلب أسود.. آثم، بل نقي، بريء، وطاهر، لقد اخترتك أنت لتصبح مليكي..

تطلع إليها كمن ينظر إلى مخبول، لا يكاد يصدق ما تقول..

والأكثر مدعاة لذهوله هو ما يشعر به!..

اقتربت أكثر وهو على حاله وضعفه، تغوي.. تثير.. تداعب حواسه، وتحت تأثير أصابعها انخفضت ذراعه بسلاحه..

تناجيه فيهدأ، تقترب فينتظر، وتخلع زيها الشبيه بالمئزر تكشف عن جسد شهي..

يخيفه، يرهبه..

وفي النهاية كانت السقطة دون وعي.. دون فهم.. دون إدراك..

لكن قبل أن تغرس السكين الصغيرة في عنقه، همست بلهجة عاشقة غريبة:

- لن تحمل الذنب طاهر، لن تأثم، أنا هي الآثمة.. وقهوتك كانت عقد الامتلاك.. اعذرني فبقائي أهم من انجذابي إليك..



سالت دماؤه تغرق فراشها الذي كان أول من يسكنه بعد سنوات مديدة..

هذه المرة شقت صدره بلطف، التقطت قلبه النابض بدفء، لثمته برقة ولعقت شفتيها تتذوق الدماء النقية التي كانت هي من لوثها..

في معرضها الأنيق، أزالت قلب الزوج ووضعت قلب "طاهر".. همست له برقة قبل أن تغادر:

- قلبك يستحق الصدارة.. ليس آثمًا.. لكنك كشفت سري يا عزيزي..

أغلقت الباب خلفها، أعادت المكتبة لمكانها.. أكملت بهدوء:

- جائزتك كانت أنا، وثمني هو قلبك..

***

صحفية نشيطة، ذكية وجميلة.. مصور مبدع وفنان، ونظرات إعجاب ترقى لحب.. والطرف المتلقي لا ينتبه للمرسل بحماقة..

تراقب هي كصقر ينتظر فريسته في الظل، كانا هنا لمتابعة قضية اختفاء أحد الضباط أثناء تحقيقه في جريمة قتل..

مطت شفتيها هازئة، لم يعد هناك أمان..

حتى مسئولو الحماية يختفون دون أثر.. ياله من زمن مخيف..

نادته برقة، التفت إليها وكعادتها تفتن العيون، توجه إليها بخجل غريب على ملامحه الخشنة، وبعد حديث ودي قصير.. اعترف..

هو عاشق.. هي لاهية..



والسارقة قررت ألا ضرر من درس خاص، في قواعد الجذب.. همست تخبره أن يتبعها.. و عندها ستعلمه كيف يخبرها عن مكنون قلبه الصغير..

بخجل استجاب.. وبانتصار وابتسامة باردة استدارت هي وهو خلفها كمن وقع تحت تأثير سحر..

سحر خاص جدًا..

سحر أسود وأسطورة قررت مغادرة عالم الخيال وشغل حيزًا من الواقع، تحفر فيه آثارها بقوة..

تسير بتؤدة..

تهتف داخل قلبها الميت..

"أكره الحب.. أكره الطهارة.. كما أكره الإثم.. كلهم وجع.. كلهم يحتاجون لعلاج حاسم وفعال.. نهائي حد البتر.. مؤلم حد الكي بالنار"..

تمت بحمد الله

٢٠١٥/٩/٢٢

صابرين الديب

حلم-هن